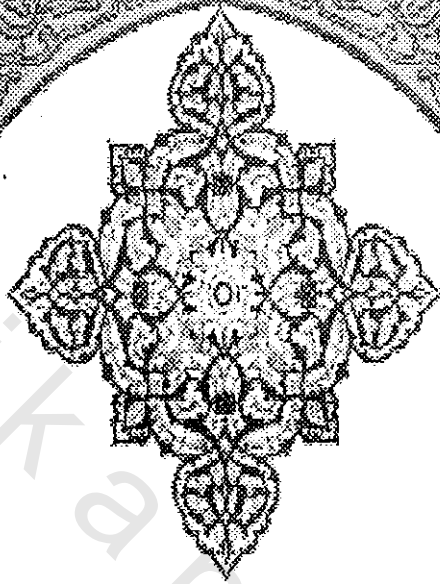

سورة الفتح

obeikandl.com

﴿ سورة الفتح ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾

كان لنا من شأن هذه الآيةِ حديث روحى عذب، ومشهد عرفانى صرف، وذلك أننى اجتمعت بشيخنا سيدى أحمد بن عمر المعروف بالشريف التجانى ﷺ بالقاهرة حين قدومه من نيجيريا فقال لى:

الفتح ثلاثة:

الأول: فتح قريب قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

والثانى: فتح مبين يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾

والثالث: الفتح المطلق يقول سبحانه: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾

ذلك لكون الفتح يقتضى المغفرة إلا طلاقية، وإتمام النعمة عليه ﷺ بعلوم المشاهدة والتحقق التام بالمعرفة الإلهية .فإن الفتح للأكابر هو الجائزة الكبرى، والذى هو بمثابة الخروج من عالم الشهادة إلى العالم الغيبى الأكبر، وهو ما تنتظره النفس فيهم وتطمح إليه الروح عندهم.

واعلم أيدك الله بروح منه أنه لافتح بدون مغفرة، والمغفرة داعية للتوبة بشتى درجاتها، فتوبة الأنبياء بخلاف توبة خواص الخواص من

غيرهم، وبخلاف توبة الخواص من غيرهم، وكذلك هى بخلاف توبة العوام المعروفة، إذ أن الأنبياء لا كبائر ولا صغائر لهم حتى يتوبوا منهم، وإنما هى توبة غير معروفة لنا، فقد تكون توبتهم عما لم يقع منهم، أو قد تكون توبتهم عن ذنوب الخلق من غيرهم .

﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾

وفى الحقيقة أنه لايوجد نصر أعظم من انتصار السائر والسالك على عالم الظلمات النفسية، والتخلص منها وقطع درجات النفس، وتعرف السالك على نفسه، وتحرره من ظلمات النفس يقول سبحانه معبراً عن هذا المقام: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ۝١٠ ﴾

أقول: هو من باب ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ وهو المسمى عندهم بفناء الأفعال واتحاد الأفعال، وهو فناء فعل الحدث فى المحدث واتحاد الفعلين، ولكنه ليس بفناء ذات ،وإنما هو فناء فعل فى فعل فافهم، فحاشاه المحدث أن تتحد ذاته بالحدث .

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۝١٠ ﴾

هذه الآية من المتشابه الذى أوقع الوهابية وخلافهم فى قضية التشبيه فقالوا: له يد ووجه كما وصف نفسه بذلك .

والأشاعرة أولوا اليد فقالوا: هى القدرة.

وخواص الخواص من الصوفية لهم عقيدة كما لمح إلى ذلك الشيخ الأكبر فى الفتوحات فقال: لاعلم لأحد بها سواهم.

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۝١٠ ﴾

أى فمن أخرج الصفة الإلهية عن غير مرادها المراد منها فقد نكث.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾

أى ومن أوفى من أهل المعرفة – وهم الخواص وخواص الخواص – الذين أعطوا الصفة الإلهية قدرها وحقها فى المعرفة والعلم بها، أولئك سيؤتيهم الحق سبحانه وتعالى أجراً عظيماً.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴿١٧﴾ ﴾

الأعمى هو المحجوب عن المشاهدة ورؤية الحقائق العرفانية وذلك لتمكن الحجاب منه ومن بصيرته وغشيان الظلام لذاته وروحه.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴿١٧﴾ ﴾

والأعرج هو المتأخر عن اللحوق بركب السابقين من أهل المعرفة والمقربين، وذلك لثقله فى السير والطيران إلى ركب أهل الله عز وجل.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿١٧﴾ ﴾

والمريض هو من شغلته عيوبه عن الوصول إلى حضرة الله عز وجل، ومن عوقته طينته على أن يتعرف على حقيقته، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ .

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

الشجرة هى مجمع الحقائق العرفانية، وهى مجتمعهم الذى اجتمعوا

فيه، وهى المعبر بها عند المحدثين من أهل الخرقة بديوان الأولياء.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾

المغانم هى ما تحصلوا عليه من الغنائم الروحية، والمعارف العرفانية، المقدرة لهم والمكتوبة لهم منذ الأزل، كل ونصيبه من تلك الغنائم، التى تتمناها أرواح السادة العارفين وتتشوق إليها أفئدة المقربين، يقول سبحانه واصفا هذه الغنائم الروحية:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

ويقول سبحانه: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا ﴾

ويقول سبحانه:

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

أى أن هناك غنائم روحية لا تقدروا على الوصول إليها لقصر مقاماتكم عن الوصول إليها، فقد لاتصلوا إليها أبداً أو قد تصلوا إليها فيما بعد.

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

اعلم أن الرؤيا عند الأنبياء تصدق فى جميع الأوقات بخلاف

غيرهم من الأولياء، وكذلك القطب فإن الرؤيا عنده لا تكذب لعصمته من الكذب والوقيعة الشيطانية .

obeikandl.com